طلعنا عالحريّة
حرية كرامة مواطنة

العدد 51
2014 / 12 / 26

## الفنان سميح شقير
## في لقاء مع طلعنا عالحرية

### مقالات

- فقدان الثقة بين المواطنين والمجالس المحلية في الغوطة
- الثورات المنبوذة وردّة الأنظمة
- شبح التقسيم
- لا رجم في الاسلام
- دقائق محذوفة من اليوم الأسود لليرموك

### تقارير

عماد أبو صالح شهيد الجولان في سجون النظام «الممانع»

اكراد سورية: أعلنوا الحرب على التنظيمات الجهادية

# افتتاحية

ها قد مضى عام 2014 بكل ما حمله للسوريين من عنف ودماء ومصائب، ولا يبدو حتى الآن أن العام القادم قد يحمل لنا أي أمل أو بشائر.

ويبدو أن السنوات المنقضية في عمر الثورة السورية لم ترسخ إلا اقتصاد الحرب وعقلية العنف وثقافة التطرف ورفض الآخر.

وبينما يبدو جلياً للقريب والبعيد أن العنف الذي بلغ أقصاه أو أكثر لم ولن يوفر أي حل في المدى المنظور، فلا تلوح في المقابل أية مبادرات سياسية جدية لنزع فتيل الأزمة.

ورغم أن السوريين قد فهموا جميعاً أن المجتمع الدولي غير معني إلا باستمرار الحرب والقتل والتدمير، إلا أنهم وبكافة أطيافهم وأطرافهم لا يبدون سعياً جاداً لاجتراح الحلول من الواقع الذي يُكتب بالدم على جلودهم.. ويبدو وكأن غالبية الأطراف القائدة قد انغمست في واقع الحرب وأوجدت لها طرق عجيبة للاستمرار ومحاولة الاستفادة بأي شكل من مصائب البلد الذي أفرغ من نصف سكانه بينما يجلس نصفه الآخر على كف عفريت.

ويبدو أن شعبنا المسكين قد اعتاد الأمر ويأس من الحلول، وتشير بعض الإحصاءات إلى أن الناس لا تتوقع بداية نهاية للأزمة في غضون عشر سنوات.

كل هذا صاحبه ارتداد كبير لغالبية ثورات الربيع العربي، مما جعل الكثيرين يعيدون حسابات مواقفهم إلى جانب هذه الثورات أو ضدها..! ومع محاولات التهميش المستمر لإرادات الشعوب يجري منهجياً حصر الخيارات بين أنظمة فاسدة ومستبدة وتيارات تكفيرية متطرفة.

لكن ورغم كل السواد المسيطر، لا يبدو أن خيار التفضيل بين الثورات وما قبلها جاداً أو عقلانياً.. فالثورات انطلقت ولم تكن ايضاً خياراً مترفاً.. بل هي طرق التاريخ الإجبارية في إعادة الروح إلى الواقع، هي النفق المظلم الذي لا بد من عبوره للوصول إلى ساحة الضوء، هي إعلان استحالة العيش في ظل الأنظمة البائدة، ومهما كان الثمن الذين على الشعوب أن تدفعه فلا خيار أمامها إلا الاستمرار، حتى لو ابتليت بقيادات لا تسعى إلى تقصير أمد عذاباتها.

لا بد من صباح تشرق به الشمس، تطهر عفن الماضي وتدواي الجراح.

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

# 2014

## وما حمل للسوريين

# سميح شقير:

## «هجرت عودي بعد شعور عميق بعبثية التعبير عما أراه..»

"لا بد أن تستعيد الحياة توازنها.. علينا أن نتمسك بالأمل"

ليلى الصفدي

من ينحت في قلب الصخر روحاً ويعزف من صدى الآلام والمعاناة لحنا لابد له أن ينحاز لثورة شعبه. لم تكن اغنية "يا حيف" أولى اغنيات الفنان الملتزم سميح شقير، والتي لامست وجدان كل سوري ثائر بداية الثورة، والتي غناها الثوار في كل أنحاء سوريا حتى في المساجد، وانما كانت تتويجاً لمسيرة طويلة من الأغاني الملتزمة بقضايا الناس والوطن.

كما أنها لم تكن الأخيرة، حيث تبعها العديد من الأغنيات النازفة من جروح الناس: "هي يا بنات" و أغنية "قربنا يا الحرية".. "اشتقنا للشام" ، "يا حمص".. وغيرها من الأغاني التي واكبت الثورة السورية العظيمة في مراحلها المختلفة.

سميح شقير ابن بلدة القريا في محافظة السويداء، مواليد الجولان السوري المحتل قرية واسط، عرف بأغانيه الوطنية الثورية الملتزمة التي كتب معظم كلماتها وقام بتلحينها جميعا. كما قدّم سميح شقير العديد من الفنانين، من أبرزهم الفنانة سهير شقير صاحبة الصوت الاوبرالي المميز. ولحن الموسيقى التصويرية للعديد من المسلسلات والمسرحيات، ابرزها مسرحية "خارج السرب" للمرحوم الشاعر والكاتب الكبير محمد الماغوط، كما لحن وغنى للشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش.

كان لمجلة طلعنا عالحرية هذا اللقاء مع الفنّان سميح شقير والذي حدثنا بشجن وألم عن تجربته الفنية، وعن تشكل ذائقته ووعيه.. عن انحيازه لهموم الناس البسطاء والفقراء.. عن الثورة المقتلة، عن اليأس، وعن الأمل، والألم الذي يستطيع أن يورق الأغنيات..

**منذ البدايات انطلق سميح شقير بأغان مختلفة.. ذائقة جديدة على صعيد اللحن والكلمة.. من أين استقيت ثقافتك الموسيقية والشعرية؟**

اعتقد أن كثير من العوامل تلعب دوراً في تشكل الذات والاهتمامات والذائقة، وبالنسبة لي ربما كانت طفولتي المتقشفة بالألعاب والهدايا ورغد العيش ذات أثر بالغ في تنامي وجموح المخيلة والاحساس المبكر بغياب العدالة، كما كان لطبيعة المجتمع المحافظ حولي دوره بجعلي اتنبه الى جمالية الخروج من عباءة النمط الى رحاب التفرد وامتلاك جرأة الرفض لكل ما يجعلني لا أشبه ذاتي، وبسبب نهمي بقراءة الروايات والأشعار وفيما بعد الكتب الفلسفية والفكرية وانفتاحي المبكر على المجتمع والصداقات والحوار والحب، الحب الذي لامس قلبي فزودني بالحاسة السابعة!

كل هذا شكل رصيداً معرفياً وخلفية لخياراتي الفنية والجمالية والسياسية، وهو بالتأكيد بتفاصيله ومخزونه شكّل مروحة الذائقة وتعدد ألوانها التي كنت أنهل منها قصيدتي ولحني.

**كيف تنظر إلى الفن ودوره في تشكل الوعي الخاص والعام؟ وكيف تقيّم تجربتك في هذا الصدد؟**

لأن الفن هو مفتاح الدخول الى عالم المشاعر والأحاسيس فهو استثنائي بقدرته على التأثير نظراً لتعدد وسائله وتوأمته مع متعة التلقي، وكونه حمالاً لرسالات قيمية وفكرية وجمالية ولذلك يعتبر الفن مقياساً حضارياً بين الشعوب كما هو معروف، ولكن ايضاً بالملموس لطالما تأكد لي من خلال الكثير من الشواهد كيف استطاعت أغنية أو موسيقا او لوحة على سبيل المثال أن تغير من قناعات أو سلوك كثير من الناس بما فيها أغنيات لي كان أثرها استثنائي ودرجة تأثيرها فاجأت الكثيرين وفاجأتني أيضاً.

**منذ اللحظة الأولى حسم الفنان سميح شقير موقفه مع الشعب الثائر.. بينما آثر آخرون إما الوقوف مع النظام القاتل أو "الحياد".. هل يستطيع الفنّان فعلاً أن يبقى محايداً؟**

السؤال ليس إن كان يستطيع.. لأنه يستطيع بالفعل وهذا ما فعله كثير من الفنانين، ولكن السؤال هل هذا أخلاقي؟ وهل هذا مقبول؟

من وجهة نظري هذا غير مقبول بل وغير أخلاقي لآن الحياد في زمن كالذي نعبره الآن، بقسوته المفرطة وبمستوى الممارسات الإجرامية والوحشية، يساعد على توغل وامتداد هذا العنف، خاصة إن كان ضحاياه هم أبناء بلد هذا الفنان، إن الدفاع عن مجتمع ننتمي اليه بمواجهة ارهاب وبطش السلطة أم أي إرهاب دخيل هو قضية جوهرية نعزز بها قيمنا الإنسانية، وبتخلينا عن هذا الدفاع فإننا نتحول الى مشاركين بتثبيت الطغاة ومسؤولين عن استمرار الاستبداد بأشكاله الأمنية أم الدينية.

**ضمن متاهات العسكرة والتطرف والحرب الدائرة في سوريا.. ماذا بقي للنشاط المدني ولمن حملوا راية السلمية ليفعلوا؟**

بالطبع بعد اشهر من الثورة السلمية التي لم نقرأ في التاريخ عن شيء يشبهها بصمودها السلمي اشهراً تحت الرصاص تم دفعها تحت وطأة العنف والوحشية باتجاه العسكرة، وهذا ما ظهر لاحقاً أنه نقطة تقاطع مصالح النظام مع مصالح عدد

# "الحياد لا أخلاقي لأنه يساعد على توغل وامتداد العنف"

من الدول الإقليمية لتحويل الثورة الى حرب ذات طابع ديني ولتبتعد عن مسارها الحقيقي كثورة شعب ضد الاستبداد والديكتاتورية ، فاستهدف النظام الناشطين المدنيين بالقتل والزج في السجون وتم توريط الجيش بمواجهة الشعب.. هذا من ناحية .. ومن ناحية ثانية تم دعم الكتائب المسلحة والجهاديين بالسلاح من قبل دول إقليمية ظاهر سلوكها هو دعم الثورة وجوهره هو تقويض الثورة التي تتخوف تلك الدول من وصول شرارتها اليها، لذا تقاطعت المصالح جميعها ضد الثورة الحقيقية فتشرد الناشطون المدنيون او تم سجنهم او قتلهم، فتوقف معظمهم عن النشاط خاصة أن الدعم قد طال المسلحين من الأطراف المتحاربة، بينما بقي المدنيون تحت رحمة انعدام الموارد.. وتحت القصف وانهدام المرافق والبيوت.. مع عودة الرعب الأمني الذي تم كسره بداية الثورة لكنه عاد، حتى أن النظام لم يعد يقبل بأي صوت يعارضه ولو من معارضين محسوبين على النظام نفسه أو من المتهمين بأنهم صنيعته، فإذا كانت هذه هي الصورة فلنا أن نقدر صعوبة العمل المدني والسلمي الذي لا يمكن لأحد أن يجزم بتوقفه، لكنه اصبح ضعيفاً ومن الصعب تمييز مظاهر واضحة له.

**بعد كل هذا الالم الذي عشناه.. وكل هذه المجازر والدماء، ما الذي يثير او يستفز الفنّان.. وهل ينضب الابداع.. ؟**

سؤال كهذا لا بد أنه أستوقف الكثيرين وأنا منهم، وتأكيداً لهذا فأنا منذ مدة قصيرة فقط عدت لأمسك عودي بعد أن هجرته لأكثر من ستة اشهر، وتبين لي وانا احاول فهم أسباب ذلك أن كمية الدماء وصور البطش والذبح والإذلال التي كنت اتابعها قد عاثت خراباً في روحي واخذتني عبثية الكثير مما يجري الى شعور عميق بعبثية التعبير عما أراه.. بل واستحالة ذلك، فأي لغة وأي موسيقا يمكنها مقاربة هذا الجحيم ؟؟؟؟

ثم أن ارتفاع منسوب الألم عند الناس يصبح عائقاً امام التلقي، فتنحسر قدرة الفنون في التأثير والوصول للمشاعر، فما يرونه بأبصارهم ويحسوه بأجسادهم يتجاوز بهوله ومداه ما يمكن أن يطرحه أي عمل فني، ربما بتنا نحتاج قليلاً او كثيراً من الوقت - لست ادري - كي نستوعب حجم الكارثة ومدى هذه المقتلة التي يتعرض لها شعبنا، وبعد ذلك لا بد أن تستعيد الحياة توازنها، علينا أن نتمسك بالأمل بأننا ذاهبون بعد هذا كله الى سوريا الأجمل مما مضى، والى ما يستحقه شعب قدم كل هذه التضحيات.. هذا هو الأمل.. وإذا كان من الصعب إثباته اليوم فمن الخطير ايضاً أن نشعر باليأس من إمكانية حدوثه.

**بدأت تبرز مؤخراً مواقف لمعارضين معروفين من السويداء والأقليات عموماً والتي تعلن إن صراحة او بشكل مبطن عن قلقها إزاء انتصارات جبهة النصرة او داعش على النظام في بعض المناطق.. حتى أن بعضها لم يتردد إزاء الخيار المفروض (النظام أم التطرف الإسلامي) أن يختار النظام.. ماذا يقول سميح شقير في هذا الصدد ؟**

ما اريد قوله أن النظام استطاع بعد جهد عدة سنوات أن يوصل الكثيرين ليطرحوا هذا السؤال وبشكله المضلل .. ماذا تختار؟
النظام أم التطَرف الإسلامي ؟
وكأن قدرنا إما السيئ وإما الأسوأ، وبرأيي أن عموم شعبنا يرفض طرفي هذه المعادلة ، إن ما طالب به وانتفض من أجله معلوم ايضاً، وهو حقوقه الأولية البسيطة والتي حرم منها دهراً ولخصها بالحرية والكرامة، ووثقها بتفصيل عبر وثيقة القاهرة التي أجمعت عليها كل الأطياف السياسية السورية الثورية والمعارضة، ومن ناحية ثانية فمن الراسخ بمعرفتنا بشعبنا أنه بعمومه بعيد تماماً عن التطرف.

لكن من منغصات هذه الثورة انها بعد الأشهر الأولى فقدت صوتها الحقيقي وتم تشويه ممنهج لصورتها، فالقيادة انتقلت من التنسيقيات الى الجيش الحر الذي بدأ ثورياً لكن سرعان ما تحكم بمعظمه الداعمون الإقليميون ليحولوا معظم فصائله الى مجموعات جهادية وبعقيدة دينية متشددة وذات اهداف مغايرة لأهداف الثورة، وكأن الشعب قام على هذا النظام لأنه يضطهده دينياً.. وهذا غير صحيح.. فأختفى علم الثورة او كاد، وارتفعت الاعلام الدينية، وبات الحديث عن الخلافة رائجاً ومتوازياً مع تكفير للوطنيين والثوريين المنادين بالدولة المدنية والديمقراطية والتعددية والعدالة الاجتماعية.

إذن فقد طغت صورة الجهادي المتطرف وغابت صورة الثائر. ثم قدمت الكتائب المسلحة نموذجاً رديئا في إدارة المناطق التي تخضع لنفوذها. كما اني لا ارغب بالحديث اصلاً عن فشل المعارضات التي هي أشبه بهياكل لا روح فيها. لذلك ليس بمستغرب أن تحضر مقارنة السيئ بالأسوأ، لكن المستغرب أن يطرح البعض أن علينا أن نختار احدهما..! وهذا بالضبط ما عمل النظام من اجله حين حرص على التجييش الطائفي منذ بداية الانتفاضة، ثم جرها بعد أن اصبحت ثورة الى العسكرة، ثم أفرج من سجونه عن معظم الذين يقودون التنظيمات المسلحة حالياً وسهل سيطرتهم على مناطق بعينها وهو يدرك أي نموذج سيقدمون ليكون بمقدوره وبالرغم من كل جرائمه بحق مواطنيه أن يدعي ويطرح نفسه كخيار أفضل من بين خيارين سيئين..

برأيي.. علينا أن نكون أغبياء بما يزيد عن الحد لنختار احد طرفي هذه المعادلة.

## ستعلمين يا فتاتي

من ألبوم لمن أغني
مهداة إلى معتقلي الرأي في صحاري الفكر

ستعلمين يا فتاتي
أنني.. ضُربتُ حتى الموت
حتى ازرقت عظامي
حتى بكت جدران زنزانتي
من ألمي.. وما فتحت فمي
إلا لكي أقولَ لهم :
سيحاكمكم - أيها الجلادون - دمي

في أقبية الاستجواب هجم الفاشيون عليّ
كنتِ وكان الوطنُ
وكنتُ أخبئكم داخلَ عينَي
لوتنطق هذي الأصفاد
لشكت من عصيان يدَي

ولنا تحت ظلال القيد وتحت حصار
العسكر
أغنياتٌ
للحقول
للصبايا
والفراشات
والوطن الأخضر
نتحدى جدرانَ السجن ونكتب بأظافرنا
شعراً
نرسم أسرابَ حمام

# فقدان الثقة بين المواطنين والمجالس المحلية في الغوطة الشرقية

أوس المبارك

تواجه غوطة دمشق الشرقية حصاراً شديداً عليها منذ أكثر من عام، ويتواجد فيها الكثير من القوى الثورية المدنية التي تقدم نفسها على أنها تعمل على مساعدة الثوار لتحقيق انتصار الثورة من جهة، ومساعدة الأهالي لتأمين سبل عيشهم وصمودهم من جهة أخرى.

وتمثل المجالس المحلية إلى جانب المكاتب الموحدة (الطبي الموحد، الإغاثي الموحد، الخدمي الموحد) أهم القوى الثورية الفاعلة في الغوطة الشرقية، وبعيداً عن مدى التوافقات والتجاذبات بين هذه المكاتب وبين المجالس المحلية، فإن مبدأ فكرة المجلس المحلي بوصفه الهيئة التمثيلية لمدينة أو بلدة ما، يجعل الاهتمام بانسجامه مع فكرته وأهدافه وسعيه لتحقيقها، أكثر مسألية للبحث والاستقصاء.

تتشكل المجالس المحلية من مجموعة مكاتب، يحدث أحياناً أن يتم انتخابها من شريحة من القوى الثورية والوجهاء في تلك المدينة أو البلدة، ويحدث حيناً آخر أن يتم تعيينهم على أسس توازنات القوى أو غلبة إحداها على البقية.

وقد تتقاطع المجالس المحلية مع المكاتب الموحدة، فيحدث كثيراً أن يكون فرع أحد المكاتب الموحدة هو المكتب ذاته ضمن المجلس المحلي، ما يجعل الجدل الدائم بين المكاتب الموحدة والمجالس المحلية يتمحور حول أيهما جزء من كل، وأيهما "صاحب الشرعية"، ولا يخفى أن يكون دائماً هناك نزاع بين أعضاء المجلس المحلي غير التابعين لمكاتب موحدة وبين زملائهم التابعين لتلك المكاتب، حول مرجعية العمل ومركز أخذ القرارات ضمن المدينة والبلدة الواحدة.

لكن ما يهمنا من أمر، هو مدى اقتراب قطاعات المجتمع ضمن المدينة أو البلدة الواحدة من فاعلية تلك القوى الثورية المدنية التي تتنازع "الشرعية"، واطلاعها وتفاعلها مع ما يعتبر شأنها العام، وهو ما يغيب بشكل لافت في غالبية المدن والبلدات.

إن الصوت الغالب على كل تلك القطاعات البعيدة عن أعمال وكلائهم، هو أن هؤلاء الوكلاء "يسرقون الأموال التي تأتي لمساعدتنا"، و"من حطهم أصلاً قائمين علينا؟!"، ويندر أن يغيب عن كلام أي أحد منهم المطالبة بحقهم في الإغاثة الغذائية التي تأتي لتخفف عنهم ثقل الحصار والجوع، لكنّ "القائمين على الإغاثة يؤثرونها لمقربيهم وذويهم" على حد تعبيرهم.

لا يندر إذن أن لا توجد أي قناة منظمة للتواصل بين السكان المحليين وممثليهم في المجالس المحلية – بغض النظر عن مدى شرعية هؤلاء الممثّلين من عدمها – وهو ما يجعل أحد أهداف الثورة غير موجود ضمن عمل المجالس المحلية التي من واجبها أن تكون صوت السكان المحليين.

ورغم إمكانية التذرع بعدم وجود القدرة المادية للقيام بإنشاء أقنية للتواصل مع السكان المحليين، إلا أنه من السهل، وبالنزر اليسير من المال، أن يتم العمل على تشكيل لجان أحياء ضمن الوحدة الإدارية التي يمثلها المجلس المحلي، وأن يتم الاجتماع بهم دورياً. كذلك من الممكن أن يتم نشر ملصقات في الشوارع، أو طباعة نشرة دورية، أو فتح مكتب للشكاوى ضمن المجلس المحلي. إضافة لما يمكن أن يتم نشره على مواقع الإنترنت ومناقشته فيها، رغم توقع قلة المتفاعلين المحليين بسبب ظروف الحصار وعدم توفر الإنترنت إلا للقليلين.

إن العمل على إيجاد أقنية تواصل وتفاعل بين المجالس المحلية والسكان المحليين ضرورة لإيجاد الشفافية، ومنح الثقة أو نزعها، وتنمية العمل، وإيجاد أفكار جديدة، وحتى تبرير المجالس المحلية لما لا تستطيع أن تقوم به ضمن ظروفها وتوضيح أسباب عجزها.

# عماد أبو صالح شهيد الجولان في سجون النظام «الممانع»

ليلى الصفدي

عماد أبو صالح اول شهداء الجولان تعذيبا في سجون الأسد.. تهمته فائض من المحبة والعطاء لأبناء بلده الذين التجأوا الى مدينته جرمانا.

عماد ذو القلب الطيب والمعطاء كان يرفض ان يمنح المحتاج ما بلي من ملابس اولاده.. بل كان يصر ان يعطيهم الجديد واللائق بكل طفل على وجه هذه الارض.

لعماد زوجة وثلاثة أطفال.. كان رابعهم طفلاً لاجئاً من دير الزور.. أبى عماد إلا ان ينام بجانب أطفاله..

بعد استدعائه في المرة الأولى لفرع الأمن العسكري بسبب نشاطه ورأيه الحر على صفحات الفيسبوك، حاول عماد أن يمارس مثل الكثيرين الحياد والصمت عن الجرائم التي يرتكبها النظام ضد أبناء شعبه.. فتح صفحة جديدة على فيسبوك وبدا ينشر صوراً جميلة لأطفاله ووصفات لتحضير الأطعمة الشهية.. لم تدم هذه المحاولات أكثر من يوم واحد لتعود صفحته لسابق عهدها مليئة بوصفات حقيقية للحرية والكرامة ولمقاومة الاجرام والقتل، وليستأنف نشاطه الإغاثي والانساني وحلمه في وطن حر جميل يتسع لكل السوريين.

اعتقل بعدها بتاريخ 29 / 6 / 2013 ثم أقدمت قوات الأمن التابعة لـ «فرع فلسطين» على اعتقال زوجته وهددته باستمرار اعتقالها كنوع من الضغط لانتزاع المعلومات، إلا أن الفرع أطلق سراحها فيما بعد.

انقطعت أخبار عماد لمدة عام ونصف، ليتم تسليم أهله قبل أيام شهادة وفاته مع بعض المتعلقات الشخصية، كان عزاءً مؤلماً لذويه ومحبيه أنه لم يتعذب طويلاً.. وذلك وفق تسريبات تؤكد استشهاده المبكر تحت التعذيب بعد أربعة وعشرين يوماً من الاعتقال.

ويمعزل عن الحزن العميق الذي خيم على قرى الجولان

# الثورات المنبوذة وردّة الأنظمة

ماهر مسعود

إذا أخذنا في الاعتبار أن أولى الأوليات الكلاسيكية الأمريكية في المنطقة هي البترول وحماية أمن إسرائيل، وإن أولى أوليات الأنظمة ودول الإقليم بالمجمل، منذ بداية "الربيع العربي"، تتمثل في منع نجاح الثورات في البلدان التي قامت فيها، ومن ثمة منع تقدمها نحو بلدانها وشعوبها، سنجد أن كل من مصر وإيران والسعودية وتركيا وإسرائيل؛ وإن اختلفوا في الكثير، فإنهم متفقون تماماً بهدف إفشال الثورات ونبذها، وبالمقابل فإن أمريكا؛ التي هي بالأصل ضد المبدأ الثوري في العالم، تشجع اتفاقهم "المختلف" طالما أن تلاقي الأولويات الاقليمي يتقاطع مع الأولويات الأمريكية ولا يتعارض مع مصالحها الاستراتيجية، ولاسيما إذا أضفنا إلى جانب البترول وحماية إسرائيل، الاتفاق النووي مع إيران كأولوية أمريكية ثالثة مستحدثة منذ احتلال العراق ومُعززة منذ تحول الثورة السورية إلى حرب دولية بالوكالة، لا يعني أمريكا منها سوى نزع أنياب إيران النووية مقابل مدّ أنيابها الإقليمية وحمايتها.

ربما كان واضحاً في وقت سابق أن إحدى الأسباب الهامة لوقوف روسيا ضد الثورات ومواقفها الصلبة مع النظام السوري بوجه خاص هو؛ بالإضافة إلى معاندة الغرب وابتزازه، خوف روسيا بزعامة بوتين من امتداد موجة الثورات إليها وعدائها التاريخي للثورات الديمقراطية، بينما كانت أمريكا أقرب للتأقلم مع التغيرات التي أحدثتها الثورتان التونسية والمصرية الأولى، أما اليوم فقد تغير المشهد بعد احتلال الإسلام السياسي والعسكري واجهة الحدث، حيث إن روسيا لم تعد تخشى ارتداد المد الثوري نحوها بقدر خشيتها ارتدادات أخرى، ومن ضمنها ارتداد الإرهاب الذي شاركت في صناعته، نحو أراضيها.

يبدو أن إيران في طور مقايضة النووي بمد إقليمي يعزز مشروعها الإمبراطوري عوضاً عن النووي، لكن المد الإقليمي هو الثمن المباشر، أما الثمن الأهم، وغير المباشر، هو أن تخليها عن النووي، قد يمنع قيام ثورة إيرانية يحتضنها وينتظرها الشعب الإيراني، كون الاتفاق مع الغرب يعني انتصار مشروع النظام السياسي/الديني القائم، ويرفع العقوبات ويقوي الاقتصاد الايراني، ما يقطع الطريق على منتظري فشل المشروع وفشل تطرفه الحاصل ضد الخارج والداخل الإيراني معاً، بينما تضطر كل من مصر والسعودية، ودول الخليج والأردن خلفها، بالإقرار بالأمر الواقع وذلك خوفاً من نجاح الوجه الديمقراطي للثورات، وتعزيز بقائها ضمن المد الإسلامي الموصوف بالتطرف، ما يسهل نبذها وقمعها بعد اختزالها بالإرهاب، وذلك أمر يعززه الحضور الإيراني الشيعي المتزايد في المشهد الاقليمي والتقارب الغربي مع إيران، حيث إنه يدفع الثورات باتجاه التقاتل السني الشيعي وفروعه، ويبعدها عن وجهها الديمقراطي الأساسي الذي قامت لأجله تحت شعارات الحرية والكرامة.

لم تعد الثورات منبوذة من الأنظمة المحلية وحلفائها الإقليميين والدوليين وحسب، بل أصبحت كذلك من الشعوب العربية التي تنوس في الحيرة واليأس بين قاتلين، عسكري وإسلامي، وداعمين دوليين للقتل المجاني، بينما هي منبوذة؛ مع خليط من الشعور بالذنب والخوف من النتائج، من قبل المجتمع المدني حول العالم، ذلك الذي يأنُّ تحت وطأة الإسلاموفوبيا من جهة، والابتذال الإعلامي الذي يصور الثورات بوصفها حرب أهلية في أحسن الحالات، أو يختزلها في التفسير الجيوسياسي للعبة الأمم مع الإشارة الأكثر اختزالاً إلى أنها تمرد الإسلام المتطرف ضد الأنظمة العلمانية من جهة أخرى.

بعد أن كانت الثورات العربية تمثل الأكثرية الوطنية المستفيدة من التغيير (خارج الطوائف والمذاهب)، عادت؛ مع النتائج الكارثية الحاصلة، لتمثل العدد الأقل من الناس المتمسكين بروح الحرية والعدالة والكرامة التي انطلقت لأجلها الثورات، ذلك أن الشعب العربي البسيط؛ وكأي شعب في العالم، يفضل الحياة، بأقل تقدير، ويفضل الاستقرار والسلام، على الثمن الباهظ الذي يدفعه مقابل أبسط حقوقه في الحياة والحرية والعيش الكريم، وما رآه من تحالف أصحاب الثروة والامتياز والسلطة محلياً إقليمياً ودولياً، ومن متاجرة رخيصة بدمائه من قبل الأقوياء وأصحاب السياسة، وما خبره من تطرف وعنف عسكري أولاً وإسلامي ثانياً، وما عاينه من تهجير وتشرد وإبادة جماعية بتواطؤ عالمي ضد الضحايا.. كل ذلك يكفيه لأن ينبذ الثورات ويكره الساعة التي فكر فيها أن يخرج ضد الطغيان أمام الخيارات السيئة التي يجد نفسه أمامها، والتي دفعته يوماً لتفضيل مرسي على شفيق، ثم تفضيل السيسي على مرسي، كما في حالة الشعب المصري.

لكن ما المعنى المستخلص من ذلك، هل فشلت الثورات؟

بالمعنى المعياري الذي يقوم على ما يجب أن تكونه الثورة، فإن الثورات قد فشلت نعم، أما بالمعنى الواقعي؛ والواقع هو الذي يحدّ كل المعايير ويحددها، وعلى صخرته تتكسر كل الرؤوس الحامية، فإن الثورات لم تفشل وغالباً لا يمكنها الفشل، فللتاريخ والزمن اتجاه واحد (أحياناً نقول مع الأسف) والواقع الذي تغير لن يعود، حتى لو أراد إرجاعه كل الذين خرجوا في الثورة ذاتهم عوضاً عمن هم ضدها، وأما بالمعنى الموضوعي المجرد والمستقل عن رغباتنا، فإن الثورات تصنع تاريخنا ولكن بالتأكيد لا تصنعه على هوانا، وبالتأكيد أكثر لا تصنعه على هوى حكامنا أو حكامهم.

---

مع ورود نبأ استشهاد أحد أبنائه في فرع فلسطين، إلا أنه شكل نوعاً من الصدمة المفاجئة، وأيقظ الخوف الكامن لدى الجميع من الموت المخيم على أرجاء الوطن، والذي ظنوه لوهلة بعيداً عنهم أو توهموا أن النظام قد يكون أكثر تساهلاً مع "المخطئين" من أبناء الجولان.. فبين مصدق لكذبة حماية الأقليات، وبين متوهم لمكانة خاصة يحوزها الجولان المحتل لدى النظام "المقاوم" تضيع البوصلة الإنسانية ويسقط الضمير في فخ النجاة الشخصية من المحنة العامة. استشهاد عماد بهذه الطريقة البشعة أسقط هذه الأوهام وأيقظ الخوف النائم.. فأهالي الجولان وإن كانوا بمنأى عن ظلم النظام خلف شريط شائك إلا أن اقربائهم وأحبابهم منتشرون في سوريا، والعائلات مشتتة بفعل الاحتلال، ويكاد لا يوجد بيت في الجولان المحتل إلا ولديه ابن أو أخ أو أخت أو خال أو عم على الجانب الآخر من الشريط.

الحقيقة الصادمة فرضت نفسها على الجولانيين.. ورغم أن الجبناء حاولوا تمويه حادثة القتل المتعمد لإنسان أعزل بالإعلان عن الأمر كنبأ وفاة عادية إلا أن الموقف العام أثناء العزاء فرض على الجميع الخشوع أمام عظمة الشهادة... وقد كتب على صورة عماد الحاضرة دون الجسد "الشهيد البطل عماد أبو صالح" ، وكلمة التأبين التي أصغى إليها الجميع بخشوع واضح عكست سقوط الوهم رغم ترددها بتوجيه إصبع الاتهام.

ربما يكون لاستشهاد عماد، الشاب الجميل والمحبوب، بهذه الطريقة القاسية والمفجعة تداعيات خاصة لدى الجولانيين عموماً.. فقد لمسنا صدمة لدى كثير من الموالين قد تغير من اتجاهات تفكيرهم وقد تجعل نظرتهم أكثر قرباً من الواقع.

# شبح التقسيم

شوكت غرز الدين

يطارد "شبح التقسيم" غالبية افراد الشعب السوري وقواه السياسية. ويحضر في "لاشعورهم السياسي"، حضوراً فاعلاً، يتسم بخليط من مشاعر الحسرة على وحدة مزعومة ماضية فُقدت من جهة أولى، ومشاعر القلق من احتمال وقوع التقسيم مستقبلاً من جهة ثانية. والمصيبة الكبرى هي غياب العمل على إرادة السوريين واستناداً إليها؛ لإبعاد هذا الشبح بتحقيق الحرية والكرامة للسوريين فرداً فرداً، والإعلاء من شأنهم كبشر بالدرجة الأولى.

فنلقى، على الطالع والنازل، سلوكاً سياسياً، يتجسَّد بالتحليلات والمواقف والاصطفافات، سلوكاً "يُصعِّد" من قلق التقسيم والتحسر على الماضي وندْب الحظ، كانفلات "لرغبة مكبوتة" بالحرية/الكرامة. للدرجة التي بات السوري يفاضِّل فيها، بين الإبقاء على الوحدة الجغرافية لسوريا ما بعد الاستقلال، وبين حياة السوريين ووجودهم العبثي؛ إنه يضحي بالحياة لصالح الوحدة فأية مصيبة هذه! أو يفضِّل التقسيم استسهالاً، لا للحفاظ على حياة السوريين فهذا ليس بالحسبان؛ بل بمعنى انعدام الخيارات والحلول المشروطة بنسبة موازين القوى.

كان لمأزق عدم تطابق الحدِّ الجغرافي مع المكوِّن الاجتماعي/السياسي، وهو عدم تطابق أنتجه التاريخ في مُتّحدنا السوري، الدور الأساس في تكوين وتهيئة الأرض البكر لنمو شبح التقسيم. وأصبحنا كسوريين في حالة عدم الاندماج وعدم الانقسام. وساهم احتكار الدولة، القائمة بالفعل، للقوة والثروة والمعرفة، وعدم حيادها تجاه المكونات الاجتماعية/السياسية في إنتاج حالة "التساكن الوطني" وتراجع "الاندماج الوطني" بين مختلف المكونات الاجتماعية/السياسية غير المتطابقة مع حدها الجغرافي. ناهيك عن الأطروحات البديلة لواقع "التقسيم" القائم والكامن في البنى الاجتماعية. وهذه مسائل يمكن توصيفها بالعوامل والعلاقات الداخلية المتعلقة بشبح التقسيم.

حفظ السوريون جيداً وعانوا من مقولة قوى الاستعمار الأوروبي "فرق تَسُد"؛ التي اشتغلت على تقسيم الآخر/العدو، واعتبرت تقسيمه قوة وسيادة لهذه القوى. ودفع السوريون ثمناً باهظاً من أمنهم واستقرارهم وحياتهم حتى ارتبط التقدم عندهم بالوحدة نقيض التقسيم. وهذه مسألة ثانية مجدولة على المسألة الأولى؛ فالسوريون لا يعيشون في الفراغ بل بعلاقات دولية وإقليمية ومحلية تفرض موازين القوى فيها شروط ما نكون عليه حاضراً، وما يمكن أن نكون عليه مستقبلاً بالرغم من مبادرة السوريين وإرادتهم.

من هاتين المسألتين استقرَّ التقسيم، كشبح مخيف نخاف منه أكثر من خوفنا على حياة السوريين، وتمدد كمسلَّمة بدهية لا تحتاج إلى برهان، بل ينطلق "العقل السياسي" السوري منها ليبرهن ويستنتج ويحاكم واقعه وتاريخه ومستقبله استناداً إليها. وهكذا تتكثف حدود ما بعد الاستقلال ويتكثف الشعور بالذنب على انزياحها. فمتى يتم الانعتاق من مسلَّمة التقسيم هذه عند السوريين والخلاص من شبحها؟

تحكم مسلَّمة التقسيم الشبح هذه وتوجِّهها مفارقات ثلاث (paradoxes): تتمثل الأولى في "المفارقة الظاهرة" بحال وتموضع السوريين اليوم بكونهم لم يشكلوا انسجاماً ووحدة فيما بينهم منذ ما بعد الاستقلال. و تتمثل الثانية في "المفارقة الممكنة"؛ أي ما يمكن أن تكون عليه سوريا والسوريين مستقبلا من خلال قدرتهم على بسط وإنماء الممكنات الواقعية التي تفيد الحرية والكرامة. وأخيراً تحكمها "المفارقة الواجبة" بمعنى ما يجب أن تكون عليه سوريا والسوريين من وحدة وتنمية وتقدم...الخ؛ إنها الإرادوية بأبسط صورها الطفلية. إنَّ "المفارقة الواجبة" تجثم فوق المفارقتين الآخرتين وتخيِّم عليهما كعقبة نفسية اجتماعية سياسية معرفية لا ترضى بالحال القائم من جهة، ولا ترضى بالممكن المرجَّح من جهة أخرى. فلا يرضيها إلا معاييرها وأصنامها الأخلاقية والجمالية والوطنية والإسلامية والقومية. وتتقدم هذه المفارقة بوصفها "ذات رسالة خالدة" و"خير أمة أخرجت للناس"، وكأنها "ساعي بريد" مهمته توصيل رسالة للبشرية جمعاء لتستفيد وتنعم من فحوى هذه الرسالة الخالدة على حساب حياة السوريين.

حاول الاستعمار الفرنسي تطبيق "حل التقسيم" مع بداية القرن العشرين في سوريا وأفشله السوريون. فقد قسمّ الاستعمار الفرنسي "المملكة السورية" عام 1920 إلى أربع دول هي: دولة دمشق ودولة حلب ودولة العلويين في الساحل ودولة الدروز في السويداء (جبل العرب). وذلك انطلاقاً من مصلحته ومن فكرة تطابق الحد الجغرافي مع مكونات الأغلبية الدينية والمذهبية. ثم دُمجت دولتي حلب ودمشق بعد سنتين فقط. وبعد سنتين أخريين، أي سنة 1924، ضُمت دولة العلويين إلى هذا الاندماج وبقيت دولة الدروز حتى عام 1936. وتحت وطأة المشاعر الوطنية عند غالبية السوريين المُريدة للوحدة قرر الفرنسيون دمج الدول الأربع في دولة واحدة مع استقلال مالي وإداري لدولة العلويين ودولة الدروز. وبقي الأمر كذلك حتى الاستقلال وتم الدمج بين "الدول الأربع" على أساس حدود سايكس بيكو.

واستقر الوضع على أعقاب الاستقلال السوري عام 1946؛ فالدولة السورية بحدودها الحالية تتعلق بإرادة السوريين المعاندة للإرادات الدولية والإقليمية والداخلية. وها هو الآن يعود شبح التقسيم ليلوح بالأفق مع بداية القرن الواحد والعشرين وما زال الرهان قائماً على إرادة السوريين في إفشاله. فما علينا إلا الثقة بالشعب السوري وعدم التعالي عليه واتخاذه بوصلة تُرشِد عملنا وتهديه.

# لا رجم في الاسلام

علي العبدالله

أثار تنفيذ تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) رجم نساء ورجال بتهمة الزنا من جديد أسئلة حول مصادر الاحكام ومدى شرعية هذه الممارسات من وجهة نظر الشرع الاسلامي.

فهل لرجم الزاني اساس في الاسلام؟.

اعتمد دعاة الرجم على واقعتين حصلتا ايام الرسول عليه الصلاة والسلام، وهما رجم ماعز بن مالك الاسلمي والغامدية الازدية. وهما واقعتان مشهورتان ولا يمكن انكار حصولهما غير ان النص الديني المؤسس: القرآن الكريم خلا من ذكر عقوبة الرجم وتحدث عن جلد الزاني والزانية قال تعالى:" والزانية والزاني فاجلدوا كل منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين"(النور:2) وهذا دفع الفقهاء الى البحث عن السبب وراء هذا التعارض بين مضمون الآية وممارسة النبي الكريم فطرحوا احتمال ان تكون واقعتا رجم ماعز والغامدية قد حصلتا قبل نزول سورة النور وان النبي قد نفذ بحقهما الحكم الوارد في التوراة على قاعدة "شرع من قبلنا شرع لنا"، وان الرجم لم يقع بعدهما لا ايام الرسول ولا ايام الخلفاء الراشدين، ما يعني ان نزول سورة النور قد حسم الموقف وحدّد العقوبة كما وردت في الآية 2 السابقة الذكر فلم يتكرر الرجم بعدها، وقد ذهب اتباع مذهب الخوارج، وهم من المتشددين في تطبيق الحدود، هذا المذهب وقالوا :"انه لا رجم في الاسلام"، كما استند بعضهم الى الحكم على ارتكاب الفاحشة من قبل النساء المحصنات، حرائر واماء، الوارد في سورة النساء حيث قالت الآية في الحرائر:" واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهم أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الله أو يجعل لهن سبيلا"(النساء: 15) وقالت في الاماء:" فاذا احصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات"(النساء: 25) وتساءلوا لو كان عقاب المحصنة الحرة الرجم حتى الموت فكيف يفعل في الاماء المحصنات، وعليهن نصف ما على الحرائر، وهل ينصف الرجم حتى الموت؟. واشاروا الى شروط اقامة حد الزنا: التلبس وشهادة اربعة شهود عدول يشهدون على حصول الواقعة كاملة ما يعني حصول الجماع والايلاج وواقعة المغيرة بن شعبة حالة نموذجية لهذا الشرط فقد ولاه عمر على البصرة، وكان يتردد على امرأة اسمها ام جميل وقد ترصده ابو بكرة وإخوته لأمه (نافع وشبل وزياد) ولما دخل المغيرة عند ام جميل دخلوا الى غرفة مجاورة وحصل ان فتحت الريح باب غرفة ام جميل فإذا بالمغيرة وأم جميل على هيئة جماع فكتبوا الى عمر فاستدعى المغيرة والشهود، سأل عمر المغيرة فأنكر حصول الجماع، فسأل ابا بكرة فشهد بحصوله، ثم سأل نافع فشهد بحصوله، وسأل شبل فشهد بحصوله. وكان زياد غائبا فلما حضر زياد الى الخليفة سأله عمر فقال:" كان مستبطنها" فسأله عمر: "هل رأيته يدخله كالميل في المكحلة" فقال: لا، فأمر عمر المغيرة بجلد ابا بكرة ثمانين جلدة لأنه رمى محصنا.

كما أشار الفقهاء الى محاولة الرسول درأ الحد عن ماعز اربع مرات وفق رواية مسلم في صحيحه للواقعة قال:" جاء ماعز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله طهّرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهّرني فقال الرسول ويحك ارجع فاستغفر الله وتب قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهّرني فقال النبي مثل ذلك حتى اذا كانت الرابعة قال له الرسول فيم اطهّرك فقال من الزنا فسأل الرسول أبه جنون؟ فأخبر انه ليس بمجنون، فقال أشرب خمرا؟ فقام رجل فاستنكهه، فلم يجد ريح خمر، فقال الرسول أزنيت فال نعم فأمر به فرجم"، وقد فعل ذلك مع الغامدية فقد اجّلها حتى تلد ثم حتى تفطم مولودها ولما جاءت تحمل المولود وهو يأكل كسرة من الخبز واصرّت على ان يطهّرها، أمر برجمها ثم صلى عليها وقال فيها:" جادت بنفسها لله تعالى".

وقد جاء في الخبر ان رجلا اسمه هَزَّال هو الذي أشار على ماعز أن يأتي النبي ويخبره انه زنى، فقال له عليه الصلاة والسلام:" يا هَزَّال، لو سترته بردائك، لكان خيرا لك"، فالستر والتوبة مخرج وبديل عن العقوبة.

وقد نقل الشيخ عبدالله العلايلي عن المبرد ملاحظته في كتابيه الكامل والمقتضب حول استخدام القرآن الكريم، ان في السرقة او في الزنا، صيغة اسم الفاعل (السارق والسارقة) و (الزانية والزاني) وقوله: "ان التحلية بأداة التعريف في هذا المورد تجعله اقرب الى النسبة منه الى مجرد التلبس بالحال الفعلية فكثيرا ما دلت صيغة اسم الفاعل عليه مثل طالق وفارك...الخ" وعليه فالتبادر الذي هو علامة الحقيقة فيهما يحمل على انه من باب النسبة الى السرقة والزنا أي من غدا هذا وهذا ديدنه. ويقوي الفهم المذكور الآية اللاحقة لأية السرقة: " فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه (المائدة:5) أي تترك له فرصة للاستتابة واصلاح السلوك" (عبدالله العلايلي كتاب اين الخطأ ص 75) وقد كان ذا دلالة ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يسأل ماعزا والغامدية عن شريكيهما في الزنا ليقيم عليهما الحد، فطالما تحصنا بالستر فقد منحا فرصة للتوبة.

وعليه يمكن الجزم بان لا رجم في الاسلام وان حد الزنا الجلد مائة جلدة للزاني والزانية في حال ثبوت الفعل كما جاء في شروط اقامة الحد.

# هل نحن قادمون على عصر من الحروب الدينية؟

أنور عباس

تثير القاعدة ومخلفاتها الجهادية ذعر الغرب بأكمله, وتتخذها الحكومات ذريعة للتدخل في شؤون الدول التي تكتسب فيها هذه التنظيمات نفوذا وحاضنة شعبية, كما يحدث في سوريا والعراق. والقاعدة ومخلفاتها هي مجموعات جهادية إرهابية توصف غالبا في الإعلام الغربي بالمجموعات السنية المتطرفة, دون التمييز بأن المذهب السني هو مذهب عريض يتسع لعدد من التأويلات والأطياف بحد ذاته.

لايرى العالم غضاضة في التحالف مع المملكة العربية السعودية, حيث يمارس الإسلام السني السلفي الذي تمارسه داعش منقوصا منه الجهاد, الذي هو, في حقيقة الأمر, مصدر الذعر الذي ذكرناه. ويتحالف العالم أيضا مع إيران, النسخة الشيعية للملكة العربية السعوديه, حيث يفرض الحجاب وتسير دوريات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وبفارق وضوح الرؤيا والاستراتيجيه الذي تتفوق فيه مؤسسة ولاية الفقيه على ملوك آل سعود الذين لا يعنيهم سوى صيانة عرشهم الموروث. وتشن الحرب على "دولة الخلافة السنية" التي ولدت من رحم قاعدة بن لادن, مدبر الهجوم على برجي التجارة العالمي, والداعي لمهاجمة الكفار في عقر دارهم وتنخرط فيها إيران بثقلها أو بمن ينوب عنها مثل حزب الله اللبناني, وإيران, هي الدولة الوحيدة التي لازال قادتها ينادون بمحو إسرائيل, طفل الغرب المدلل, من الوجود ورميها في البحر, تيمنا بزعيم القومية العربية جمال عبد الناصر, الذي خسر كل حروبه مع إسرائيل, عدوته اللدود التي توسعت في عهده على أراض فاقت مساحتها قبل عام 1967 خلال أيام قليلة, محققة نصرا كان هو النكسة الأكبر في تاريخ العرب الحديث حتى احتل صدام حسين الكويت, وجلب جيوش العالم لتخرجه منها, وماتبع ذلك من انهيارات لاحقة في العراق والعالم العربي.

يستعين كذلك النظام السوري, الذي أعلن العالم فقدانه لشرعيته يسبب قتل رئيسه لمواطنيه, بميليشيات شيعية عراقية, متطرفة, وإرهابية, مارست جميعها الإرهاب والقتل الطائفي في العراق لسنوات, ضد السنة وضد القوات الأمريكية, وتمارسه اليوم في سوريا, تحت عين العالم المتمدن, وبطلب من النظام العلماني حامي الأقليات, وذلك لقتال التطرف السني القاعدي الجهادي الداعشي النصروي, فيجتمع في صف واحد طيارو قطر والسعودية, وأمريكا وكندا وفرنسا, ومرتزقة حزب الله, وضباط الحرس الثوري الإيراني, والحوثيون, وسفاحو لواء أبو الفضل العباسي والمقاتلون الأفغان الشيعة وحماة الديار الذين تنتهك ديارهم إسرائيل محتفظين

بحق الرد دوما, دون أي رد.

تشتعل اليوم في العالم العربي, على حدود تركيا وإيران وقريبا من أوربا وعلى مرمى حجر من منابع النفط الكبرى, حرب دينية بالوكالة. ليس لهذه الحرب أهدافا دينية أبدا, بل هي حرب يسخر فيها الدين, وجموع المتدينين, من سنة وشيعة, وهي حروب بالوكالة لأن من يقاتل فيها ليست الدول التي تتقاتل فعلا, بل مجموعات أو شعوب تنوب عنها, كالسوريين الذين يقاتلون نيابة عن السعودية ودول أخرى في الخليج العربي تحاول يائسة الحد من النفوذ الإيراني الذي يهدد عروشها, ويتلقون دعما منها بوصفهم, حسب ما يقال لهم, الأخوة السنة, الذي يقتلون على يد "الروافض", فيما يخلو الخطاب الرسمي السعودي, ومثله الإيراني, الطرف الآخر للصراع, من أية إشارات طائفية أو دينية, لكن أرض المعارك تعج بخطابات دينية وطائفية مقيتة, لا تخفى على أحد, من التنظيمات السنية التي تريد محو الروافض إلى تلك الشيعية, التي لن تسمح لأهل الشام بسبي زينب مرتين.

شكل سقوط نظام صدام حسين فرصة ذهبية بالنسبة لإيران للتغلغل في العراق, ودعم ميليشاتها الشيعية المتطرقة والطائفية, والسيطرة النسبية على قرارها السياسي, حين استبدل النظام الصدامي القمعي بنظام لا يقل طغيانا يقوم على تقاسم السطلة بين العرب السنة والكرد والشيعية, بتفوق واضح للمجموعة الأخيرة, وحين توغلت القاعدة التي هبت لنجدة "الأخوة السنة" من براثن الشيعة التي بدأت فعلا تفتك بهم, بدعم من إيران. وتمتد اليوم هذه الحرب إلى سوريا واليمن وتنتظر لبنان والبحرين والسعودية أن تصل إليها, ولا تبدو إيران نفسها في معزل عنها, ولا تركيا السنية التي يحكمها الإسلاميون.

هذه الخلطة المعقدة تنذر بتشعب الحرب أكثر وأكثر, ولا يبدو أن العالم قادرٌ, وقد لا يكون مهتما أصلا ولديه الحق, على السيطرة عليها.

شهد العالم الكثير من الحروب الدينية التي طال أمدها, فاستمرت في أوربا مايزيد عن قرن وربع القرن, لكنها تمخضت عن تشكيلات جديدة, أدت إلى بنىً مستقرةً في المجتمعات التي عصفت بها, وقد يكون العالم الإسلامي, المنقسم على نفسه بين شيعي وسني, والمنقسم داخل هذين التصنيفين إلى مذاهب لا تنتهي, لا يقبل بعضها بعضاً, وتتربص بالآخر للفتك به, وتعتبر نفسها الصورة الحق للإسلام الحق, قد يكون هذا العالم الإسلامي على شفا عصر جديد من إعادة التشكل, وقد تعصف هذه الحروب بكثير من أنحاءه, سيما أن الشحن الديني على أشده اليوم.

أوكل العالم اليوم محاربة الإرهاب السني إلى الإرهاب الشيعي. وهما وجهان لعملة واحدة. وإذ يشتد الصراع, تنتظر هذه الحروب المزيد من الوقود من أجساد الناس الذين يخوضونها طمعاً بالحياة الآخرة وخلودها, ويقضون, وهم يصبون إلى نعيمها الأبدي, كل ما بناه آباؤهم, ويهدمون حياتهم, وحياة أبناءهم, ولايخلفون سوى الدمار في عالم خلقنا الله فيه لنبنيه. فأي رسالة تلك أيها المسلمون؟

# الطائرات تطير

علي فاروق

الطائرات تطير من الغرف المجاورة إلى الحمام..
الطائرات تطير
والأشجار تسقط
والمباني تخبز السكان
فاختبئي بأغنيتي الأخيرة
أو بطلقتي الأخيرة يا ابنتي..

قد تصلح الأبيات السابقة من قصيدة "مديح الظل العالي" للشاعر "محمود درويش" كمدخلٍ يصلح لشرح جزءٍ من صورة الحياة في الداخل السوري.

لا تكف الطائرات بمختلف أنواعها، وجنسياتها عن التحليق، وإلقاء حممها وقنابلها على السكان.

قبل عدة صباحات تغير مشهد السماء، دخانٌ أبيضٌ دائريٌ، متعرجٌ ارتسم في الأعلى، هي نفس الخطوط التي اعتدنا مشاهداتها أيام الصبا في سماء ريف دمشق الغربي، كانت بلا شك للطائرات الإسرائيلية التي عرفناها جيداً، والتي اعتادت القيام بنزهاتها الصباحية في أجواء الممانعة السورية ــ اللبنانية.

الطائرات الإسرائيلية عادت لأجوائنا من جديد، لكن هذه المرة لم تكن وحيدةً، فطائرات النظام التي لم تكد تترك مكاناً لم تزره ببراميلها، وصواريخها، تلازمها أيضاً، وإن كانت لا تستطيع التحليق بمحاذاتها وعلى نفس علوها، كما تصحب تلك الطائرات، طائرات أخرى للتحالف الدولي، والتي تلقي بدورها أطنان القذائف والمتفجرات على مناطق شمال، وشمال شرق البلاد، وكان أن أصابت "صواريخها الذكية" عديد المرات مدنيين، وأطفالاً سوريين.

قد تتمثل المفارقة الكبرى اليوم بأن الطائرات الإسرائيلية هي الأقل خطراً على السوريين، فوجودها في الأجواء لا يدفعهم للشعور بالخوف، ويبدو أن بعض انطباعاتهم وأفكارهم السابقة عنها قد تبدلت، هذا لا يعني أن إسرائيل لم تعد تشكل تهديداً أو خطراً، أو أنها لم تعد دولةً معاديةً، فهي لا زالت، وربما ستبقى كذلك، كل ما يعنيه ذلك ببساطة، أن الخطر المباشر على حياة السوريين وأرواحهم ليس مصدره إسرائيل، فطائراتها ــ الآن على الأقل ــ لا تستهدفهم، ولا تقتلهم، ذلك أن طائرات "نظامهم" تتكفل بموتهم، وكانت طائرات النظام قد نالت شهرة سابقة من سقوطها في معارك لبنان، في ما عُرف بيوم مجزرة الطائرات، حينها لم يتبق من الأسطول الجوي السوري إلا عشرات الطائرات القديمة التي يسخرها النظام اليوم لإلقاء براميله، وكم يتمنى كثيرون ــ وأنا منهم ــ لو خسر النظام آنذاك أسطوله الحربي كله.

هل شعور كهذا يعد نوعاً من الخيانة؟ هل فقد السوريون غيرتهم الوطنية؟

الحقيقة، إن الإجابة على هذا السؤال ليست هينةً، فالإشكالية التي يطرحها تحمل تعقيدات مركبة، خصوصاً في ظل الظروف الراهنة، وهذا ما يجعل طرحه، بهذا الشكل البسيط، ومحاولة الإجابة عليه بصورة قاطعة، أمراً يحمل نوعاً من الاستسهال غير المقبول ولا المبرر، فلا يمكن مسائلة "مواطنين" يواجهون الموت، والتشريد، والجوع، والبرد منذ أكثر من ثلاث سنوات، بسبب حربٍ عدوانيةٍ إجراميةٍ يخوضها ضدهم "جيشهم الوطني"، ويستعين عليهم بالمرتزقة والمليشيات الأجنبية، بعدما فتح "نظامهم الوطني" البلاد وأجواءها أمام كل أنواع التدخلات الدولية والإقليمية لتبرير مجازره، وفوق ذلك رهن ما تبقى من اقتصاد مقابل الاقتراض لتمويل حربه، عن عدم خوفهم من طائرات إسرائيلية لا تقصفهم، ولا عن ضعف شعورهم بـ "الانتماء"، ولا عن برودة مشاعرهم "الوطنية"، والتي قد لا يوجد مبرر لها بالأساس، فلطالما كان معنى "الوطن" في ظل النظام الشمولي مختصراً في شخص "الرئيس" وعائلته، ولطالما اختُزل مفهومه بباقة من الكلمات المرسلة الخالية من أية قيمة أو مضمون، كالأرض، والعَلَم، والجيش، وغيرها.

لم يكن للوطن عند السوريين في يوم من الأيام أي مفهوم حقيقي بالمعنى السياسي، أو الاجتماعي، ذلك أن الوطن قبل أن يكون أرضاً، ودولةً، هو مجموعة بشرية (شعب)، مجتمع من أناس يعيشون معاً ويتمتعون بالسيادة، تجمعهم علاقات، وروابط، وآمال، وأحلام، وتوحدهم تطلعات، ورؤى، وأهداف مشتركة، يحكمهم "عقد اجتماعي" ينظم شؤون حياتهم، ويؤطر علاقاتهم في ضوء القانون، وعلى أسس الحق والواجب والمسؤولية، فيختارون به شكل الحكم، والنظام الذي يناسبهم، ويحددون الأدوار والوظائف التي ينبغي على سلطاتهم تحقيقها، ويقررون الالتزامات والضمانات والجزاءات التي تضمن الوصول لتلك الغايات، لكن السوريين لم يتحصلوا على شيء من ذلك سابقاً.

العواطف، والمشاعر لا تكفي لإنشاء "العلاقات الوطنية"، وتأسيس الدول، فالوطن ــ الدولة لا يقوم بالدرجة الأولى إلا على أساس المصالح المشتركة لمجموع "المواطنين"، وفي إطار القانون والمؤسسات، وعلى مبادئ كالحرية، والعدل، والمساواة، والتوازن في توزيع الموارد والثروات، وغيرها، وبموجب نظام يحدد السلطة ويضبط علاقاتها، ويقنن استخدامها للعنف والقوة، وفي غياب هذه لن تنفع النظريات، والحكايات، والأشعار، والأغنيات "الوطنية"، ولا يجوز محاسبة أحد على فقده لما يسمى بـ "الانتماء الوطني".

قبل الغارات الإسرائيلية الأخيرة على مطاري دمشق، والديماس، ذرعت طائرات العدو سماء الوطن لأيام، دخانها الأبيض بقي ساعات معلقاً في الجو، وفي صباح اليوم التالي للغارات، كان جيش "الوطن" مستمراً بقصف المدن، فيما استبدلت إذاعات "الوطن" الرسمية والخاصة فقرات الأبراج، ونقاشات المذيعات الصباحي التافه، بالأغاني الوطنية العظيمة، كأغنية "حماك الله يا أسدُ" (بعد نزع صوت المطربة "أصالة" منها)، كنوعٍ من الرد على العدوان، ربما، أو على سبيل إظهار شعور شعبنا بـ "التلاحم الوطني".

وبعد أيام عادت الطائرات الإسرائيلية للتحليق "فوق سقف الوطن"، في الوقت الذي كان أبناؤه المؤيدون، والمعارضون، و"المحايدون" يشتبكون على صفحات التواصل الاجتماعي بسبب "العلم الوطني" الذي لم يُرفع في برنامج "أراب أيدول"، قال بعضهم كان يجب رفع العلم الأحمر ذي النجمتين، وقال آخرون لا بل الأخضر ذي الثلاث، وربما فكر غيرهم بالعلم "الأسود" عديم النجوم..

وكأن للعَلَم قيمة عندما يغيب الوطن، ويموت أبنائه، ويُعتقلون، ويشردون.

الطائرات الإسرائيلية تواصل التحليق فوقنا، وطائرات النظام لا تزال تقصف، وفي رأسي تسقط كلمات " محمود درويش" محورة: الطائرات تطير
والبراميل تسقط
والبنايات تخبز السكان
فلا تخافي الموت يا ابنتي..
وفي أعماقي تتفجر معانٍ:
كم كنت وحدك يا ابن أمي
يا ابن أكثر من أبٍ
كم كنت وحدك..

# في أحد سجون الدكتاتور

كاوا شيخي

في أحد السجون تحت الأرض وفي إحدى الغرف المُهمَلة تماماً عاش سبعة مساجين اتهموا بأخطر تهمة يتهم بها الإنسان في زمن الدكتاتور ألا وهي عدم محبتهم له، وكان القرار برميهم في تلك الغرفة من السجن تحت الأرض حيث لا ضوء لا صوت.

فقط باب حديدي كبير فيه فتحة كان يقدّم من خلالها الطعام والماء وهكذا مرت السنون.

المصباح الكهربائي الصغير هو الأمل الوحيد الذي تتعلق به عيون الجميع حتى المساء.

الحارس الذي كان يتبادل المناوبة مع آخر على نفس أخلاقه, كان يكره الأصوات العالية ولهذا فقد علّم السجناء الصمت وعلّمهم عدم التنفس عند مروره, وتعلّم السجناء كتم أنفاسهم, وراح كل واحد منهم يتعلم محبة الدكتاتور حتى يتمكن يوماً ما من الخروج.

مرّت السنون وحدث ما لم يكن بالحسبان, لقد سقط الدكتاتور بل أسقط وقتل الحارس الواقف على باب السجن على اعتبار أنه كان من الحرس القديم ودخل الحرس الجديد السجن, اقتحموا أبوابه وأطلقوا السجناء إلا نزلاء الغرفة المهملة فلم يعثروا على مفتاحها ربما لأنها لم يتم استعمالها منذ زمن بعيد، وقف الحرس الجديد على باب الغرفة وضربوا الباب بأقدامهم و صرخوا:

هل يوجد أحد هنا؟

لكن المساجين الذين أتقنوا الصمت كانوا أذكى من أن يغضبوا حارسهم القديم والذي ظنوا بأنه يغير صوته كي يدفعهم للخطأ فيدخل إليهم كما كان يفعل من سنين، ولن يعطوه الفرصة من جديد كي يعيد فتح جروحهم التي لم تندمل بعد, فكان الجواب أن وضعوا أصابعهم على أفواههم ونظروا إلى بعضهم البعض على أن: اسكتوا إنها مكيدة.

انصرف الحرس الجديد على أن لا أحد هنا بينما كانت أصوات أقدامهم وهي تبتعد تعيد الطمأنينة إلى قلوب المساجين السبعة بينما قفز أحدهم بعد أن ابتعد الخطر وراح يمثل دور الحارس القديم وهو يقول: أما قلت لكم حتى لو خربت الدنيا لا أريد أن أسمع أصواتكم, هل اشتقتم إلى سوطي؟ هو أيضا اشتاق لكم، فمنذ زمن طويل لم يرتو من دمائكم الحلوة!

ثم راح السجين يضحك وهو يدعى ضرب الجميع: والآن اخلعوا سراويلكم!

فضحك الجميع وهم يعلنون أن صمتهم قد نجح في ردعه من حيث جاء!

مضى اليوم التالي ولم يحضر الطعام ولكنهم اعتادوا على ذلك, فالحارس كلما غضب من زوجته أو عوقِبَ من قبلها كان يفرض عقوبة على المساجين ويحرمهم من الطعام ولهذا فقد اعتادوا أن يخبئوا ما يدرؤوا به غضب زوجة الحارس عنه وغضب الحارس عنهم فكانوا يتركون من طعامهم قليلا يكفيهم حتى يهدأ الحارس من جديد, وقد حذّرهم عدة مرات "إياكم أن تطالبوني بالطعام فإن العقوبة تبدأ من جديد, فإذا حرمتكم من الطعام فالتزموا الصمت واهدأوا فأنني عندما اهدأ فسأفك الحصار عنكم وأطعمكم"

دام الحصار ثلاثة أيام, أربعة وقد نفذ المخزون الاحتياطي وفي اليوم الخامس راح الجوع يشهر أنيابه عليهم, لقد طال الحصار هذه المرة, ما العمل؟ تساءل أحدهم: إن أي كلمة أو اعتراض سيجعل العقوبة تبدأ من جديد, وهذا يعني أسبوعا آخر جديداً وسنموت فيه بلا شك!

الغرف الأخرى التي كانت خالية راحت تمتلئ من جديد شيئاً فشيئاً وكان الطعام يأتي إليها إلّا هذه الغرفة والتي ظن الحرس الجديد انه لا يوجد فيها أحد.

سقط عبد الجبار من طوله مغشيا عليه من الجوع, فما كان من رفاقه إلا أن أعادوه إلى مكانه وتجرأوا ولمرة واحدة أن يتمتموا بصوت مسموع:

رحمتك يا رب !!

وكان صوت خطوات الحارس يملأ الممر, وصوت الصحون والأطباق في وقت الطعام, ولكن لا أحد يقترب من غرفتهم.

في اليوم السابع فقدوا كل أمل وكان عبد الجبار يتنفس بصعوبة بالغة, ذهب أحدهم إلى الباب وضربه بيده بكل أدب فما كان من رفاقه إلا أن جلسوا في أماكنهم بكل أدب منتظرين أن يفتح الباب ليعلنوا للحارس أنهم لم يفعلوا شيئاً وليدلّوه على الذي طرق الباب ,فلم يسمعوا جوابا, فراحت ضربات السجين تشتد شيئاً فشيئاً, ثم فجأة انتبه أحد ما من الحرس الجديد إلى الصوت فوقف على الباب ثم نادى آخرين, و راح أحدهم يصرخ:

- هل من احد هنا؟

- نعم, نحن هنا آسف للإزعاج ولكن عبد الجبار سيموت إن لم يأكل, أما نحن فلا بأس.

راحوا يبحثون عن أسمائهم ومن وضعهم هنا, فأعلن الموظف إنه لا سجين في سجلاته باسم عبد الجبار, فأعلن رئيس السجن أنهم ربما يكونون خطرين جداً ومقربين من الدكتاتور السابق, ولهذا فقد سجنوا هنا من قبل القيادة, فحتى أنا لم يخبرني أحد عنهم, افتحوا الباب وأحضروهم إلى هنا!

بحثوا عن المفتاح فلم يجدوه، فاضطروا إلى كسر قفل الباب الصدئ و أخرجوا المساجين الذين هالهم عدم وجود الحارس القديم بين الحرس وحتى ملابس الحرس الجديد قد تغيرت, لكن الصمت كان سلاحهم وهم يجرون عبد الجبار وراءهم كخرقة بالية ويدخلون إلى غرفة رئيس السجن.

أعلن أحدهم: والله العظيم يا سيدي, مهما حصل فإن حب السيد الرئيس القائد يجري في دمائنا, لقد رضعنا حبّه مع حليب أمهاتنا, لقد أورثناه لأولادنا وأخواتنا وزوجاتنا أيضاً، فكيف يمكن أن ننسى حبه.

قال رئيس السجن: أما قلت لكم أنهم أخطر من كل الآخرين، أعيدوهم إلى مكانهم, و انتظروا أوامر من القيادة بشأنهم!

- ولكننا يا سيدي جائعون , وفي بلاد السيد الرئيس القائد حفظه الله لا يجوز أن نبقى في هذا الجوع!

- حسنا سنطعمكم كما نطعم كل السجناء وهكذا كان.

عاد السجناء السبعة إلى زنزانتهم وهم يحملون معهم طعاماً كافياً ولسانهم يلهج بالشكر للدكتاتور، وراحت وجبات الطعام كالعادة تدخل من باب زنزانتهم وعادوا هم إلى صمتهم الذي اعتادوا عليه, بينما راحت قلوبهم تعتاد على حب الدكتاتور!!!

# دقائق محذوفة من اليوم الأسود لليرموك

راصي العاشق*

خرجوا كما خرجوا منذ ستّين عامًا، لم يختلف شيء، ما تركوه هو ذات ما تركوه أوّل مرّة، وما حملوه هو ذات ما حملوه أوّل مرة، لم يختلف شيء، لم يتركوا سوى ما لم يستطيعوا حمله، تركوا بيوتًا ثقيلة الذكريات، شوارعَ أكلت أقدامهم يوميًّا، ثيابًا تحمل روائحهم وتحفظها تحت الرماد، تركوا الأسماءَ ذاتها: حيفا، القدس، الكرمل، القسطل، الطيرة، لوبية، وصفد، تركوا مقبرة الشهداء القديمة، والجديدة أيضًا، ربّما لم ينتبه أحدٌ ليذكر أن أحدهم تركَ غسّالة أوتوماتيكيّة وفيها كل ما جمعه من مال لزفاف ابنه، ولم يذكر أحدٌ أن أحدهم تركَ آلته الموسيقيّة تحت طاولته، وأن مراهقًا خرج دونَ صور عشيقاته ودون دفاتر أشعاره السخيفة، لم يذكر أحدٌ أنّ شاشة البلازما الجديدة مازالت في كرتونتها ولم يستطع أصحابها أن يجرّبوها ويلتفّوا حولها كما يلتفّون حول النار في البرد، نسي الجميع أن يقولوا: إن أولئك الأطفال خرجوا دون ألعابهم، وإنّ أمهاتهم المرضعات خرجنَ وقد تخثّر ما في أثدائهنَّ.. خرجوا كما خرجوا أوّل مرّة.. بلا ملامح.

لم يختلف شيء، أسماءهم ذاتها أحلامهم المدمّرة ذاتها، القاتل ذاته وإن غيّر اسمه، الجثث ذاتها وإن كانت بعد كل هذا الوقت، الجثث تركوها خلفهم وخرجوا، لم يستطيعوا حملها معهم في هجرتهم الثانية!

يسأل أحدٌ الآخر: أهو اللجوء الثاني؟

- لا، تعلّمنا من الأمس ألّا نتشبّث بالخيمة، إلّا أن المخيم لم يكن خيمة، أنا سأبقى، سأنزح إلى منطقة قريبة لأيّام ثمّ أعود، لن أكون لاجئًا للمرة الثانية.

- ابقَ إذن، أنا كفرتُ بهذه الأوطانِ سأذهب بعيدًا من أجل أبنائي، وتشبّث كما شئت ..... بالموت!

- من اختبرَ أن يكون لاجئًا يعرف تمامًا أنه لا يريد أن يكون لاجئًا من جديد في أرضٍ لا يعرفها، ولغة لا يعرفها، وشعب غريب بالمطلق، لم يعد هناك وقت يكفي لنجرّب من جديد، إذهب أنت .. أنا سأتشبّث بهذا الموت حتى أحيا.. أنا أعرف هذا الموت، والموت الذي تعرفه خير من الذي لا تعرفه!.

خرجوا كما خرجوا من فلسطين، تركوا ما تركوه وحملوا ذكرياتٍ لبيوت مهدّمة، حملوا ندبات على عدد سكان المخيم، ملابسَ تكفي ليومين لا أكثر، بعضَ أوراقهم الثبوتية، ومفاتيحٍ بيوتهم إلا أن المفاتيح هذه المرة كانت أصغر حجمًا، المقبرة مكتظّة أكثر بالموتى والرخام أقل، لم يعرف أحدٌ أنّ مدّخرات الزفاف التي تركها الوالد في الغسالة خوفًا من سرقتها على الحاجز، ذهبت مع الغسالة بالجملة، والآلة الموسيقيّة عبث بها الجنود وتشاجروا عليها حتى حطّموها على رؤوس بعضهم، وكأن علينا أن نفترض غير ذلك من العسكر! خرجوا ولم يعرفوا ما الذي حصل بعد خروجهم، ربّما.. لا يجب أن يعرفوا الآن، كيلا يختلف شعور العودة في دواخلهم!

بعد عام من خروجهم من المخيّم، أتى خبر استشهاد حسّان تحت التعذيب، حسان هذا.. أو بالأحرى "ذاك" لم يكن يريد مغادرة المخيم، كان يريد فقط أن يؤلّف عملًا مسرحيًا واحدًا كل عام، ويعرضه في المخيّم.. فقط في المخيم، لم يكن يريد أن يصبح مشهورًا، كان يريد أن يكون طبيعيًّا فقط.. عاديًّا كأيّ وجه من وجوه المخيّم، إلا أن القاتل أدرك خطورة حسان، فقتله!.

يا أيتها الخرابة التي نحبّ، الخرابة المدمّرة فوق رؤوس محبّيها، ماذا تريدين أكثر من أن نجمّل قبح ما فيكِ؟ ماذا تريدين أكثر من أنّنا نتباهى بانتمائنا لخرابتِك!؟ نحن أبناءُ الخرابة والخراب، مخرِّبون مخرَّبون، جوعى .. مشاريع قتلة، مشاريع قتلى، ومشاريع أحياء، لا شي يمنحنا اسمًا، سوى أسقف الزينكو، وصورة نمطيّة لكائن "مخيّمجي".. يا أيّها اللاجئ النازحُ المُقتلَع الملاحَقُ المنفيّ الشهيد!! لماذا سمّيت مقبرتين بذات الاسم؟!!

قتلوا حسّان الكوميديان لأنهم يخافون من الابتسامة، قتلوه في الظلام، وأطلقوا يد الظلام لتُكمل على جثّتنا جميعًا، ها هم مجرمو الليل يقتلون في وضح النهار باسم الله في ذكرى حسّان وذكرى اجتثاث أهل المخيم منه، كان حسّان يقول: "أحبّ أن أعرّف نفسي على أنني فلسطيني سوري" هو ابن الموتين إذن، قتلته سوريّته حين قتلته فلسطينيّته ومن لم يُقتل بالاثنتين قُتل بواحدة وظلّ جسدًا حيًا بالأخرى وروحًا ميتة مشرّدة لا شاهدة لها، آخر ما سمعناه من حسّان: "بتخيل أيام كيف شكل الشام كان .. بحسّ إني ما رح أرجع أشوفا" صدق حسّان.

خرجوا كما خرجوا أوّل مرّة، لم يختلف شيء، لُفظوا كما فعل جسد حسّان بروحه، هكذا فعل بهم طيران الميغ السوريّ، وهكذا فعل فرع فلسطين الأمني السوري بحسّان، وهكذا يفعل المتطرفون بمن بقي تحت الحصار.

*شاعر وكاتب صحافي فلسطيني سوري.

# اكراد سورية: أعلنوا الحرب على التنظيمات الجهادية

كمال شيخو

يروي سكان مدينة سري كانيه (أو راس العين) قصصاً وحكايات عن الانتهاكات والفظائع التي ارتكبتها التنظيمات المتطرفة، عندما قررت نهاية العام 2012، تحرير المدينة من بقايا القوات الموالية للنظام السوري.

سري كانيه تقع في أقصى الشمال السوري تتبع اداريا لمحافظة الحسكة، لاتزال شوارعها ينتشر فيها رائحة البارود والرصاص, وتُسمع فيها اصوات الرصاص هنا وهناك.

أما مدينة كوباني (أو عين العرب) التابعة لريف حلب، يستميت الأكراد في الدفاع عنها بعد أن شن تنظيم الدولة (داعش) معركة عليها منذ ثلاثة أشهر، وسيطر على ريفها وأجزاء منها وتسبب في فرار أغلبية سكانها.

وباتت المدينة محوراً للصراع في سوريا مع مشاركة طائرات التحالف الدولي الذي تشكل لقتال التنظيم في مناطق أنتشاره في سوريا والعراق.

## "جاؤوا ليحتلوها"

بعد معارك استمرت لثلاثة أيام، أعلنت التنظيمات الجهادية سيطرتها على مدينة سري كانيه، وأذاعوا من على منابر الجوامع، عبارات متشددة أشهرها: "سلّم نفسك تسلم"، بينما كان شعار: "مالكم مالنا وحلالكم حلالنا"، الأكثر تطرفاً.

وبرز (الزعيم) وهو رجل في عقده السادس من مواليد سري كانيه، كأول كردي يحمل السلاح في وجه تلك التنظيمات، روى أنه "في عصر 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2012، شكلنا أول مجوعة كردية مسلحة مؤلفة من 12 متطوعاً من أبناء الحي لمحاربة الكتائب المتطرفة"، وعن سلاحه قال "منذ ثلاثين عاماً لم أطلق رصاصة واحدة به, ولكن عندما دخلت تلك الكتائب قررنا الدفاع عن اهلنا وشرفنا، هم جاؤوا للسيطرة على هذه المدينة الكردية، ونحن دافعنا عن وجودنا وتاريخنا وإرثنا", وعن شعارات الجهاديين نقل الزعيم "قالوا: ناموسكم حلالنا ومالكم مالنا"، إلا أنه رد عليهم قائلاً: "خسئتم والزعيم ما بيركع إلا لله".

وأشار الناشط في مجال حقوق الانسان محي الدين عيسو إنّ هدف تلك التنظيمات "جاؤوا ليحتلوها ولتفريغها من سكانها بحجة تحريرها من النظام السوري"، ويجزم عيسو "قيام المقاتلين بنهب وسرقة ممتلكات سكانها واعتدوا على كرامات الناس"، مضيفاً "لا حاضنة اجتماعية لمثل تلك التنظيمات في المناطق الكردية، ولم تتمكّن من اختراق مناطقنا"، لوجود قوة سياسية وعسكرية واجتماعية متماسكة للأكراد من ناحية، وللاختلاف الجذري بين قيم وعادات المجتمع الكردي عن قيم وفكر التنظيمات الجهادية من ناحية أخرى، بحسب محي الدين عيسو.

ويخشى مسؤولي الادارة الذاتية الديمقراطية المشتركة، أن تؤدي التطورات الأخيرة وتوسّع حروب (داعش) في سورية والعراق؛ الى تهديد النسيج الاجتماعي والسلم الاهلي والاستقرار الاقليمي والدولي للمنطقة برمتها.

بدوره، أكد الدكتور عبد الكريم عمر منسق العلاقات الخارجية لحركة (المجتمع الديمقراطي)، وأحد مسؤولي الادارة الذاتية، أن "أكراد سورية يتعرضون للهجمات منذ نحو عامين من التنظيمات المتطرفة، بدعم ومساندة من دول إقليمية تتصدّرها تركيا"، وأعرب أن "الأكراد خاضوا معارك شرسة ضد داعش، واستشهد المئات من المدنيين العُزّل، وأرسلوا لنا سيارات مفخخة وأحزمة ناسفة وارتكبوا مجازر بحق المدنيين".

وعبر أنه "من حق مسؤولي الإدارة الخشية ممّا يجري، كونهم يعتبرون أن الاتفاق بين الأطراف الكردية والعربية والسريانية، التي قسّمت مناطق شمال وشمال شرق سورية الى ثلاث كانتونات: مقاطعة الجزيرة، مقاطعة كوباني، مقاطعة عفرين"، والتي تشكل نموذج حلّ لسورية المستقبلية، وتعكس صورة الدولة الديمقراطية التعددية اللامركزية.

## حرب كوباني

مضى ثلاثة أشهر من المعارك الدائرة في مدينة كوباني بين وحدات حماية الشعب الكردية وتشكيلات من الجيش الحر، بمساندة قوات البشمركه من جهة، وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من جهة ثانية. إلا أن البلدة لا تزال منقسمة السيطرة بين الطرفين.

من جانبه، أخبر محي الدين الشيخ آلي سكرتير عام حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا ( يكيتي) ان "مدينة كوباني وريفها، شهدت ولاتزال حصاراً خانقاً ومحاولات اقتحام عديدة من قبل داعش، بمؤازرة من تنظيمات مسلحة أخرى لما يقارب أكثر من عام".

ويصف الشيخ آلي معركة التنظيم الأخيرة بـ "الغزو"، ويضيف "بعد استيلائه على أسلحة متطورة من الجيشين العراقي والسوري- وإعلانه الخلافة الإسلامية- وامتلاكه أموال كبيرة، ينوي التمدد أكثر في سوريا والعراق"، وقال: "كان ولايزال

لوحدات حماية الشعب الكردي YPG الدور الأبرز والأساسي في الدفاع عن المدينة، مدعومة بحاضنة شعبية كردية واسعة".

وبعد صمود دام لأكثر من 40 يوم، أرسلت حكومة إقليم كردستان قوة مؤازرة من حوالي 150 من عناصر البيشمركه ولقى ذلك ترحيباً كبيراً من قبل الكرد في كل مكان.

ويعتبر الشيخ آلي أن "أكراد سوريا في منطقة كوباني وغيرها في موقع الدفاع عن النفس"، أما (داعش) وصفها بالقوة "الاحتلالية" ولفت أنها "تسعى السيطرة على أكبر مساحة من الأراضي وإعلان خلافته عبر الغزو والنهب والقتل والتحكم بموارد البترول والمنافذ الحدودية"، وأكد إنّ "الوسط الكردي في كل من العراق وسوريا يشكل عقبة أساسية أمام تنفيذ مخططها التوسعي".

وبحسب قيادات كردية ميدانية تخضع نصف المدينة لسيطرتهم، بدءا من سوق الهال، وجامع حاج شكري وصولا إلى تخوم حي الصناعة شرقا، والجهة الشمالية تخضع كاملة لهم، ثانوية عين العرب، ومدرسة الوحدة والجامع الكبير. وفي الجهة الجنوبية، وصلت القوات الكردية إلى دوار البلدية، وتدور اشتباكات عنيفة للسيطرة على الأخيرة، كما لا تزال ساحة الحرية منقسمة السيطرة، وتدور اشتباكات عند طريق حلب الدولي وكازية حاج شكري. أما غربا، فلم يحقق تنظيم (داعش) أي تقدم يذكر.

وترى الرئيس المشترك لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي آسيا عبد الله أن "الهدف الأول من حرب تنظيم داعش هو إفراغ كوباني من سكانها الأكراد والسيطرة عليها"، وأردفت "المدينة محاصرة منذ حوالي عامين من جهاتها الأربع، ثلاث مع سوريا والجهة الرابعة مع تركيا التي أغلقت المنفذ الحدودي الوحيد المتبقي بين المدينة والعالم الخارجي". وطالبت آسيا عبد الله "كل ما نحتاج إليه حالياً وبشكل سريع هو فتح ممر إنساني لتسهيل دخول المساعدات الإغاثية للأهالي والمدنيين المتبقين، ويجب أن يكون تحت إشراف وحماية الأمم المتحدة".

# قاب زرين أو أدنى

باسل مطر
مشروع سلامتك

في عام 2006, وفي حدث سنوي هام عالميا بدأ عام 1927, قامت مجلة تايم الأمريكية باختيار شخصية العام لتكون "أنت". نعم "أنت", مستخدم الإنترنت الذي يساهم في إنشاء أو توليد محتوى الإنترنت, وذلك بعد عام واحد فقط من الطفرة الكبيرة التي طرأت على هذا المجال من جمع ونشر الأخبار والمعلومات, بعد حادثة تفجير قطارات الأنفاق في لندن واحتراق مستودع هارتفوردشير للنفط في إنكلترا, وما تبع ذلك من مساهمة شهود عيان كثر في توثيق ونقل تطورات هذين الحدثين من خلال الصور والفيديو ونقل الأخبار بطريقة دفعت مؤسسة الإرسال البريطانية BBC بعيد ذلك إلى إنشاء قسم خاص لما اصطلح على تسميته User Generated Content أي المحتوى الذي يولده المستخدم وعينت ثلاثة أشخاص فيه, توسع القسم بعدها, وما لبثت أن أطلقت CNN منصتها الخاصة (http://ireport.cnn.com /Ireport) تبعتها منصة مشابهة لفوكس نيوز أسمتها Youreport (http://ureport.foxnews.com/). أقرت مؤسسات الإعلام التقليدية التي تهيمن على فضاء الإعلام بقيمة الأخبار التي تأتي من مستهلكيها, مستفيدة من عصر المعلومات والإنترنت, وواضعة المستخدم في موقع متقدم لم يكن متاحاً له في السابق.

أصبح المحتوى الذي يولده المستخدم مصدراً للأخبار والمعلومات, وبدأ حجمه بالنمو مع تطور الإنترنت وظهور منصات التواصل الاجتماعي ومنصات تحميل ونشر الفيديو وتطور منصات التدوين, حتى أصبح هناك فائض يربك المستفيدين منه من مستخدمين عاديين أو مؤسسات إعلامية أو بحثية أو أكاديمية أو تجارية, وبدأت معايير التدقيق بالظهور, وبدأت أدوات تدقيق هذا المحتوى بالتطور أيضا, وهو أمر طبيعي في ظل الكم الهائل منه.

لعل أهم سمات هذه الطفرة في توليد المحتوى هي أنها مكنت شاهد العيان, أياً كان من توثيق شهادته. فبعد أن كانت روايات الناس عن الأحداث التي عاشوها وشهدوها تذهب أدراج الرياح بعد موتهم أو موت أبناءهم, أصبح هناك فيض منها سيتاح له البقاء أمداً طويلاً, يعوم في بحر

متاح للجميع, ينتظر من يلتقطه, ويجمعه ويبني منه شهادة على عصر كامل. لم يعد الإعلام التقليدي يحتكر نقل الخبر, ولم تعد السلطات تحتكره أيضا, بل أصبح بإمكان المواطن العادي أن يسهم في التقاطه ونشره وإيصاله إلى الناس. لم يعد بإمكان المنتصر أو القوي الانفراد في رواية التاريخ من وجهة نظره, بل أصبح هناك روايات مختلفة لذات القصة, لم تكن متاحة في الغالب من قبل.

كانت الثورة السورية ولازالت حتى اللحظة واحدةً من الأحداث التي اتسمت بتغطية كبيرة جداً من قبل مستخدمي التكنولوجيا العاديين من أبناءها الذين انخرطوا فيها من جميع مشارب الحياة, وقد يجوز القول بأن جل ما تم تناقله ويتم تناقله اليوم عن الأحداث في سوريا مُولدٌ من قبل هؤلاء. هناك بعض المنصات التي أنشأت خصيصاً لجمع بعض هذ المحتوى, وتحليل بعضها لهدف صحفي أو بحثي. ربما أن حجم المحتوى أكبر من أن يحيط به جهد وحيد ويتطلب الكثير من التعاون.

ما يشوب هذا النوع من المحتوى هو الفوضى العارمة التي تعتري بعضه أو جله, والانحياز غير المهني الذي يرافق نشره, والمبالغة أو التضليل أحيانا. إن الاستفادة منه بعد أن تراكم بكميات هائلة تصبح أكثر صعوبة وتعقيدا, لكن الاستفادة الآنية التي تمكن من التدقيق والتحري حين مشاركة المحتوى أمراً أكثر سهولة.

بالرغم من كل ما تقدم, فإن هذا المحتوى سيندثر وستبقى رواية الآخر فقط إن لم يستثمر وتتم المحافظة عليه, وهو ما يجب أن نعيه جيدا.

# زعيم الحمقى

## قصة قصيرة لـ :
## مصطفى تاج الدين

الموسى. عبر نافذتين في بلادٍ غريبة تحدثنا بصمت.
عيني سألتها : ــ ما اسم مدينتك السوريّة التي نزحتِ عنها ؟..
جسدها العاري أجاب: ــ نسيتُ أسماء المدن السوريّة..
أحتاجِ لألف سيجارة وسيجارة حتى يستوعب عقلي جيداً جسدها العاري.
ثمة أحمقٌ صرخ داخلي لحظة ملل: ــ الله غير موجود..
أحمقٌ آخر يعيش داخلي أيضاً، أجابه غاضباً: ــ الله موجود..
مجموعة من الحمقى تعيش داخلي، تنقسم بين مؤيدٍ ومعارض للأولَيّن، ثم تنشب بينهم معركةٌ عظيمة.
جلستُ أمام نافذتي لأراقب جارتي عبر نافذتها وهي تغيير ثيابها، ثيابها التي لا تغيرها إلا عندما تنتبه لوجودي خلف نافذتي.
كل أولئك الحمقى داخلي شهقوا وصمتوا.
الذين كانوا يصرخون داخلي ( الله غير موجود ) تمتموا بذهول ( سبحان الله(.
الذين كانوا يصرخون داخلي ( الله موجود) همسوا بشتيمة طالت كل الآلهة.
ظلتْ سيجارتي معلقةً بين شفتيّ زمناً طويلاً.
كنّا عدة شبان من عدة مدن سوريّة.. صعدنا مع حقائبنا الصغيرة قارباً متواضعاً وأبحرنا مبتعدين عن الشاطئ، لا أحد منا لوح مودعاً تركيا.. وكأنها مجرد كابوس.
ناصر ــ وبسبب زورباً ــ كان يريد أن نصل للشواطئ اليونانيّة.
عباس ــ وبسبب فلليني ــ كان يريد أن نصل للشواطئ الإيطاليّة.
أنا ــ وبسبب علي عقلة عرسان ــ خفتُ أن يأخذنا القارب ــ صدفةً ــ إلى الشواطئ السوريّة.
لكن القارب أراد شيئاً آخر.. تحطم بنا لنغرق وتتناثر جثثنا في قاع البحر الأبيض المتوسط.
تاهتْ روحي طويلاً فوق البحر قبل أن تصل لتركيا، فطارتْ فوق شوارعها حتى بيت جارتي الجميلة.. لتدخل غرفتها بهدوء.
كان الوقت ليلاً وجارتي كانت نائمة، اقتربتْ منها روحي لتغطيها، و خوفاً عليها من برد المساء، مشتْ إلى النافذة تنوي إغلاقها.
عندئذٍ.. روحي شاهدته.. رذاذ سيجارته كان يضيء ربع وجهه.
كشبحٍ كان زعيم الحمقى لا يزال خلف نافذته في عتمة غرفته، ينتظر بملل أن يغير الكون ثيابه...

عزيزي بابا نويل
بدنا المعتقلين
طلعنا عالحرية